

صفحة الدراسات في «البناء»، أنشئت لتكون مساحة للابحاث العلمية المتعلقة بشتى المواضيع ذات الصلة في قضايا الأمة والعالم العربي.

وهي إذ تتسع لمثل هذه الدراسات تبقى مجالاً مفتوحاً للحوار وطرح الإشكاليات الفكرية

أدب المقاومة بين الأساطورة والتاريخ» للدكتور نذير العظمة

8

نساء التمعن نصلاً وشهادةً... وماجداتنا كن المعالم

الدكتور نذير العظمة في كتابه «أدب المقاومة بين الأسطورة والتاريخ» يقَدِّم للقارئ دراسة تعوض في أعماق العلاقة بين الشعر والثورة، و حدود التأثير الواحد منهما في كينونة الآخر، مقدّماً من أجل توضيح ذلك أمثلة عديدة عن ثورات كبيرة وقعت كالثورتين الفرنسية والبلشفية الروسية.

لقد حاول الدكتور العظمة أن يعالج بنفس فلسفي عملية الانبثاق الثوري والانبثاق الشعري وطبيعة العلاقة بين الاثنين وكذلك دور الإيديولوجية في هذا الشعر.

يتكلم المؤلّف في مقدمة الكتاب- الدراسة عن الموروث التاريخي لدى معطم مفكرينا وكتّابنا المتعلق بالتبعية للحضارة الغربية والانبهار بها، والتي شكّلت لوقت طويل عقداً ملامعاً من توليد الإبداع عندنا.

يتوزّع الكتاب على خمسة أبواب يعالج في الباب الأول شعر النضال الجزائري والتجربة الثورية، وفي الباب الثاني اتجاهات الشهر المقاوم والكفاح الفلسطيني. أما في الباب الثالث يتطرّق إلى المرأة المقاومة، وفي الرابع يشير إلى الرؤية العربية، أما في الباب الخامس فيتكلم على الشعر المقاوم بين الوظيفة التاريخية والفنية.

والبناء» إذ تنشر الدراسة على حلقات فألأنها تعتقد بأنّه من الضرورة بمكان إبراز طبيعة العلاقة بين المقاومة والشعر، وطبيعة العوامل المؤثرة سلباً أو إيجاباً، الأمر الذي أبرزه الدكتور العظمة في دراسته.

في هذا العدد يتطرّق الدكتور العظمة لبعض التجارب الشعرية ذات الصلة بنساء مقاومات بتّن رموزاً تلامس الأساطير، فالشاعر نزار بني المرجا في قصيدته فاطمة يخاطب الإنسان الدائم باللغة اليومية العابرة التي تنزّف بالحقائق وعاطفة الولاء للرحم. الأم الذي هو الأرض.

أما نزار قباني فله فاطمة أخرى هي فاطمة الجنوب اللبنانية التي تعبر عن التحرير وهزيمة العدو الصهيوني. نزار البرارع في توظيف إنجازه التاريخي في شعر المرأة والغزل من أجل القضية القومية حتى لا يحَيّل إليها أنه انتقل من الجسد في قصيدته عن جميلة بوحيرد إلى حب المرأة والوطن في لمحة واحدة.

ولا بدّ من الإشارة إلى أن الكاتب أكد أن ظاهرة المقاومة لم تات من الفراغ ذلك أن لها جذوراً في تاريخنا الأسطوري: «جلجامش»، «بعل»، «مار جريوس- الخضر»، و«عشتار».

ولكنّ التعمق في قصيدته «بوابة فاطمة»، تقول:

وتبحث عن آقارها ولكن الجميع مناقفون.
أرتبتهُ شجراً يفكر بالهروب
غرباطة خلقي وفاطمة محفوف
تبيلها الكآبة والشحوب
كيف الدخول إلى القصيدة يا ترى؟
وقصبي العربي مملوء بألأف القلوب
هذا هو الزمن المرصّج بالباشعة
والذائلة
والخيانة
والذنب
هذا هو الزمن الذي فيه الثقافة
والكتابة في غروب
هذا هو الزمن الذي يلقي المدسد فيه أفكار الشعوب
لا حظ لفاطمة يصنع شاعرنا من الكلام اليومي لغة شعرية مستعينة بالصورة الحسية ويقاع الحديث ليسمو إلى لغة شعرية حديثة شاققة ولكنها كثيفة بالوضوء إلى يفتح ماسانتا القومية.
ويمسّر النقط مفردة شعرية لا اقتصادية بل مرآة تحسّر أوجاعنا ومثالبنا القومية التي قادتنا إلى خسارة غرناطة في الأسس وجزّئنا اليوم إلى حصد فلسطين.

وهكذا تتحول القصيدة من نار المقاومة إلى دراما نظمت نزار قباني تحتفل بطريقا ببيروت والجنوب وعلى الجبلين في طقوس الحبيب والقمم جميعا، إنه فاطمة بينما شاعرتا فاطمة:
«هل هناك من مكان؟!
يحففنا من هذه المسأة المطبقة على الروح؟!»
يقول شاعرنا فاطمة:
«فأين قر العاشقون؟
بيروت تبثح عن حقيقتها
وتبثح عن قبيلتها

وشاعرنا يخاطب الإنسان الدائم باللغة اليومية العابرة التي تنزّف بالحقائق وعاطفة الولاء للرحم الأم وأرض الوطن بإيقاعات البحر المقرباب في قصيدة مدوّرة تقود القارئ إلى بوابة فاطمة ومنها إلى فلسطين المغتصبة.
الاستحقاق فاطمة شاعرنا بني المرجة ما قاله امرؤ القيس في فاطمه التجديبة على بعد الزمان والمكان في مسافة التاريخ؟!

أفظم لها بعد هذا التذلل
وانت كنت قد ازمت طرفي فاجملي
أنزّك منى أن حبك قاتلي
وانك مهما تآمري القلب بفعل
وشاعرنا يخاطب التجديبة عند نزار توفى في قصيدته «بوابة فاطمة» للشارع بني المرجة التي انطلق منها المتألفة لا يكتمل بغير تراب الوطن الذي انتهدته العصابات الصهيونية.

القباني وفاطمة الجنوب اللبناني

وهذا يقودنا إلى فاطمة أخرى هي فاطمة الجنوب اللبنانية التي اتجه إليها نزار قباني في قصيدته بعنوان «آخر عصفور يرحل من غرناطة».. علماً أن خسارة الأندلس التي يخني بها القباني عن خسارة فلسطين تدعنا إلى القول: «شأنّ نزار قباني في دراما لكن الذكرة التاريخية عند نزار توفى في قصيدته «آخر عصفور...» لتناخل المسأة والتاريخ في ماضيها الحضاري الذي نسوره بالوعي والتضحية وتفردنا ملوك الطوائف والقبائل والعشائر على حساب الكرامة والهوية.

فمن هي فاطمة نزار قباني هذه، مقارنة بفاطمة الشاعر بني المرجة وفاطمة امرؤ القيس؟ إنها فاطمة التحرير، فاطمة الجنوب اللبناني الذي هزم العدو الصهيوني بالمشاهدة والموت طبقاً إلى الحياة.

وقصيدة نزار قباني تحتفل بطرقا ببيروت والجنوب على منطلق البحر الكامل وتعدد القافية، بينما يوباية فاطمة الأخرى مسدورة على إيقاع المقرباب.

ونزار قباني بارع في توظيف إنجازه التاريخي في شعر المرأة والغزل من أجل القضية القومية حتى ليحَيّل إليها أنه انتقل من الجسد في قصيدته عن جميلة بوحيرد إلى حب المرأة والوطن في لمحة واحدة بنفش درامي. والصوت الراوي الواحد للشاعر ليحده أشعب البراف في الدراما المسرحية. إنه يخلق بالحكمة عن خسارة الأرض والرحم ويلمع على الأسباب المادية التي تقودنا إلى خسارة الوطن فنضحي قالحب وفاطمة والقيم جميعا، حافظا على مصالح النفس والسوق العالمية.

وشاعرنا نزار يتخذّ من عيني جميلة مبركين يبيقى الخوف محتفظا بكنهته
ويبقى فاطمة يخلق كالحمامة تحت أضواء الغروب

فأين قر العاشقون؟
بيروت تبثح عن حقيقتها
وتبثح عن قبيلتها

بيروت أرملة العربية والحواجز والطوائف والجريمة والجنون
بيروت تمثك كالدجاجة في الطريق
فأين قر العاشقون؟
بيروت تبثح عن حقيقتها
وتبثح عن قبيلتها

البناء

والسياسية وغيرها، تنشيطاً لدور الثقافة في الصيرورة الاجتماعية. علماً أن الآراء التي ترد على مساحة الصفحة تعبر عن أصحابها وليست بالضرورة مطابقة للقناعات الصحفية.

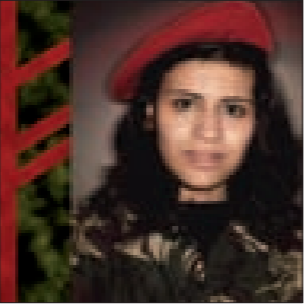
لإنّاه انطلاقاً من القناعة الراسحة بضرورة خلق حوار فكري حول القضايا والإشكاليات كافة وما



ليلى خالد



أحمد شوقي



سناء محيدلي



ابتهام حرب

الامر الذي استدعى مجيء الإمبراطور أوريليانوس على رأس الحملة العسكرية للخلاص منها... كما كان الشأن في علاقة روما بكليوباترا.

هكذا نجد أن التحيز ضد المرأة مدفوع بالحقيقة التاريخية كما هو مدفوع بالأسطورة. وتاريخ الإنسان زنوبيا، وصورة عناء وبعل في الموروث الكنعاني وسيرة كليوباترا.

كما أن ثنائية شرق وغربي والتحيز ضد الإسلام مدفوعان بالأسطورة والتاريخ. شجرة الدر التي ألهمت المسرح والتلفزيون ضمن التراث الملوكي في التاريخ أيضا كانت امرأة أجنبية حكمت، ولكنها لم تتحدر إلى توظيف الجنس في سبيل الحكم، بل العكس. الفرسان أو بعضهم من المماليك الذين طمعوا بسلطانهم لم يجدوا وسيلة غير الزواج بالحلال من أجل الوصول إلى ميغاثم وهذا نحن أمام نساء شريقات من الدرجة الأولى، حكمن وصارن على ضد الرجل لم من أجل شعوبهن وانتماءً-هنن الحضارية فارتقين إلى مستوى الأسطورة.

من سميراميس ويليقيس إلى كليوباترا وزنوبيا وشجرة الدر، وكن مصدر إلهام لشعوبهن في الأدب والفن والأعمال التلفزيونية والمسرحية على الخشبة.

ولولم يكن نساء قويات كيف إذن فرض حضورهن على التاريخ والدين والأسطورة والأدب؟؛ التحيز إذن يتفوق الذكر ويؤنثة الإثنى، سواء أكان جنسيا بيولوجيا أو إنسانيا تاريخيا أو سياسيا سلبا وليس من الحقائق الدامغة. وطوما يذهب إليه النص القرآني من أن الذكر والأُنثى خلقا من نفس واحدة صحيح.

أما العناكة فهي حليلة أوضاع تاريخية فاقها التراكم واتد إلى ما أدت إليه في الفن والسياسة والمعرفة والخيلة.

هذه مقدمة عامة طبعاً تصبح أكثر صدقية لو عدنا وتفحصنا مكانة المرأة الزمرية في الآداب القديمة، وطقوس الخصب التي تسلتت إلى الرواية والمسرح والحركات الشعرية في الأدب عامة.

إذا كانت صورة المرأة في أساطيرنا القديمة تشير إلى القوة والخصوبة والقدرة على خلاص الإنسان والبشر فهل من المعقول أن مخيلة كهذه هي نتاج الوهم أم الحقيقة؟ واين حواء التفاحة المرمة أو عشتر الحماربة أو عناء الكنعانية أو حتى سميراميس بابل ولبقيس عدن وشجرة الدر؛ وإذا صحت صورة كليوباترا، التي قدما بترارك وتركت طابعها على الإبداع الغربي، لا سيما المسرح، وشتربت هذه الصورة حتى إلى مسرحية أحمد شوقي الذي حاول أن يبرز ملامحها الوطنية في نهضة مصر بوجه روما. إلا أن إغواءها للقصر وبعدة أنطونيوس ومحاولتها الفاشلة مع أوكتاقيوس التي قادتنها إلى الخيبة فالانتحار بمعاقبة الإثعي، هي من صنع بترارك، ألم تكن أما تدافع عن هويتها المصرية؟؛ من زوجها بيوليوس قيصر. ألم تكن هذه الحقيقة أساس التلاقي بينها وبين أنطونيوس تشير وحتى العاشقة التي التبسث بالغاوية في علاقتها بأنطونيوس، إلا بحق لشوقي وغيره أن يحمو الحرائر عن صورتها التي استقرت نمطا مهيمناً في الدراما الأوروبية؛ أما زنوبيا فقد حافظت على نقاتها ولكن المؤرخين يقيدونها بأنها كانت محبة بكليوباترا لأنها ما ليبدو من عجبية واحدة؟؛ وهي تأكيد الحوافز الوطنية في مقاومة غطرسة روما وجبروتها والدفاع عن حقوق الشرق. كيف يصور تلفزيون الشركات العابرة للقارات أبطالنا اليوم؛ ألم يصبح الدفاع عن الأرض والعرض والقيم إرهابيا وترنمه به أبواق الصهيونية وأحلافها صياح مساء؟!

الم يصور الشؤرة علاقة شمشون ودليلة في هذا الإطار بينما في الحقيقة ليست دابلة غير عناء الكنعانية التي أرزت بزل ضد الثنتين؛ وانحزت إلى قوماها.

وعلى المقلب الآخر كيف تصبح سلوومي الراقصة اليهودية بطلّة؟ لأنها أغرت ببالوس الروماني ليقدم لها رأس يوحنا بن زكريا على طبق لتكتمه عن جسدها؟

ومن تصدق نحن اليوم، الرواية الثوراتية التي جسدها ملتون في لمحة شعرية أو الصرح الخالد في المسجد الأموي الكبير ليجيب لن زكريا الذي يهدّ لمعجى المسيح وعمد في نهر الأردن. وكان كرمها في النضارية والإسلام لخروجه بالتوحيد على غطرسة يهود على البشر جميعا.

والشهادتنا سناء محيدلي وابتهام حرب ضد الاحتلال «الإسرائيلى» للبنان ليستا كليوباترا أو زنوبيا لكهما فتخطيان هما وزميلاتهما الشهاديات على القضية مماثلة.

ولدت سناء محيدلي في بلدة عققون في قضاء الزمراي في لبنان في 14 أ 1968. واستشهدت بتاريخ 09/04/1985 في معبر باتر- زمين، من جنوب لبنان، مسجلة أول عملية استشهادية لفتاة. وكزت بعدها المسجحة، فاستشهدت مريم خير الدين في 11 أيول 1985. والشهيدة نورما أمي حسان بتاريخ 17/07/1986 والشهيدة زهر أبو عساف والعميدة فنانة التحيز يتجسد في صور مغربية، لكنها ليست مقننة إذا تفحصها الباحث.

هنا ندرك كيف يترآكم التحيز الفني على التحيز التاريخي والتحيز النفسي، والمرأة في علاقتها مع الرجل لا بد من أنها في معركة خاسرة. لكن الدلالات تنتقل من حيّز التاريخ والجنس إلى صلب النصوص والفن والأسطورة والدين والسياسة. هل صحيح أن المرأة ضعيفة؟ ألما يمكن لها أن تتخذ وظيفة الحكم والحرب. الشواهد التاريخية على نقض هذه القناعة المحترزة كثيرة، حتى زنوبيا في صورة عن عشتر الحماربة.

عناء وبعل في الأسطورة الكنعانية من موروثات رأس شمرا، تركز في القوة والصراع في شخصية عناء وإنقاذها لبعل في صراعه وحربه، سواء مع الثنتين أو الخطر المقبل من البحر.

وحربه و تخففى من شخصية عناء صفاة الأنوثة والحبح والضعف لا تتركز في الإنقاذ والخلص من الشر، تماما نقض ما تذهب إليه الأسطورة الثوراتية وهوامش الإسرائيليات في التفسير القرآني عن خطيئة حواء.

زنوبيا ملكة تدمر زاحمت روما في آسيا وأفريقيا، في الحكم والحرب والحضارة في المساحات الفعلية.

الثلاثاء حلقة أخيرة